حقّاً إنّ أمّك غريبة وعجيبة يا لاوتسو !

« إنّها تملأ كلّ شيء. وإليها يرجع كلّ شيء في الوجود . فلا تخيّب أحداً . لها الفضل في كل شيء . غير أنها لا تطمع في لقب « فاضلة » . تغذّي بالمحبّة كلّ شيء . غير أنها لا تدّعي حقّ الملك في شيء. » فما أحبّها إليّ أمّاً لا تدّعي الملك حتى في ملكها . ولا الفضيلة حتى في فضلها . ولا السلطة حتى في سلطانها . وكم للناس من خالق ما خلق إلا ليتلهى بخليقته ، فيهنأ بعذابها ، ويتمجد بذلها ، ويقوى بضعفها !

أمّك تلد لأن من طبيعتها الولادة . فلا تمنّن ولداً بقولها : « أنا ولدتك فمجّدني . وإن لم تمجدني وتعمل مشيئتي طرحتك في جهنّم » . لأن أمك تعلم أن لا نظام لكل مولود منها إلا نظامها . ولا مشيئة إلاّ مشيئتها . وليس لمولود أن يفلت من نظامها كما ليس لها أن تفلت من نظام نفسها . فهي لا تدين ولا تعاقب ولا تثيب . العاقل وغير العاقل من بنيها يحمل نظامه في نفسه . وكلاهما يسير به مدفوعاً . إنما غير العاقل لا يقاومه . أمّا العاقل فيحاول مقاومته بعقله ولذلك يشقى . ولن يتخلّص من الشقاء حتى يدرك خطأه ويُقلع عن عناده ويقرّ بضعفه أمام قوة الطاو وبجهله تجاه الحكمة التي لا تُحَدّ .

إذ ذاك يفهم « العقلاء » قصدك يا لاوتسو من قولك :

« مَن حاول تحسين شيء شوّهه . ومن سعى لامتلاك شيء